نظرية المعنى في الدلالة التأويلية

أ. عبد القدر البار

أين يوجَدُ المعنى؟ هل يوجد في أذهانِ البشرِ، أم في العالم المشترك بين المتكلمين؟ وهل يمكن للمعنى أن يكون خارجَ المكونات التي تسهم في البناء اللغوي؟

هو سؤال مركزي والإجابة عنه تقتضي أن نضع في أذهاننا جملة من التصورات، فالأديب – مثلا – يختزن لغة محكومة بقوانين لا يمكن للفلكي أن يفهم أبعادها، لأنها لا تصف عالمه وحتى يتم التجاذب بين الأديب، والعالم الذي يصفه، ينبغي كذلك تأسيس علاقة خاصة تجمع بينهما، وهي العلاقة التي تقوم أساسا على ما يعرف بالإدراك لأن المعنى يخضع لما ندركه حسب ما تذهب إليه كل النظريات الفلسفية واللسانية وحتى التيولوجية.

يقول هيرش Hircsh :*"إن هناك معنى يقصده المتكلم، وهذا المعنى هو المعنى الصحيح الذي ينبغي أن نسنده إلى الجمل. ومعنى هذا أن المعنى إنتاج وليس تأويلا، أو فنما"*[1]

يتجادر للقارئ الحصيف لهذه المقولة أن هيرش قع رَكَّزَ في تصوره للعهى على المتكلم وحده، وأغفل العالم الخارجي، وهذا ما`يذهب إليه النحو التوليدي في مقارب سؤال طبيعة المعنى في اللغة القائمة أساسا على تيار الΛقاربة النفسقة البي تdكز عى دم قيام علاقة ـوية Jمباشرة بEالمتقلم والعئلم الخارجي ف بناء المعأني، وهذا مâ يفسر نظرة النحو الآوياي إلى اللسانيات باعتبارنا جزdًا من علم النفس من العلوم ألطغيعية.

وفي هذا الصدد يقول Hbاشو فسكي *إن من قتكلم لغة بعينها يكون ممتلكا لنظام من المعرفة ممثلا بطريقة ما في ذهنه، ومن هنا يكون لهذا النظام صورة مادية في دماغه. ولهذا تحدد اللسانيات التوليدية برنامج عملها في:ما نظام المعرفة الذي يقوم عليه اللغة؟ وكيف نشأ نظام المعرفة في الذهن؟"*[2]

يفهم من كلام تشو مسكي انه حاول أن يعيِّن المعنى بتمثيل ذهني دال داخليا يرتبط بالشكل المنطقي للجملة، وهذا الشكل مرتبط بالصورة التركيبية التي تأتي عليها الجملة، فأصل المعنى هو البنية الذهنية لمتكلم اللغة، ولذلك كان طرح تشو مسكي نفسيا معرفيا.

دلالـة الأطر والفهم الموحَّد: نشير في البداية إلى أق اليد ةلمعرفي في الـЯلاфة التصوري يحاول تفسير سيرورات الإدراك البشري وعاقته بالسلو C الـAшي، على نظ ًيأت علم Чالنفس ا ـرجريي وألمعرفي بحيث تكون البنية الـЯلالية عقد البشر ق ـرة وثرية تفك ترميز كل ما يمكن أن تعبر عنه ا ـفغة إذ الأم6 ي6بط بكيفية فعالجة البشر للعالم ورؤيتهم إيّاه.

ومثل هذا الكلام نجده عند أندريه ماريتني في تعريفه للغة:*" اللغة أداة للتواصل بواسطتها يتم معالجة التجارب الإنسانية لدى كل مجموعة بشرية بطريقة مختلفة"*[3]

من خلال هدا التعريف تظهر التجارب الإنسانية متنوعة ففي بعض القبائل الإفريقية لا يميزون بين اللون الأزرق و اللون الأخزر فهما يحملاق تسمية واحدة و ندا يعود بطبيعة الحال إلى تعاملهم الخا ęمع اѧلوان، و الشيء نفسه ينسجب على ّكان الاسكيمو في تسميتهم للѧلج فتراهم يطلقون ألفاظا مختلفة– لما نعتبره نحن ثلجا– . دلك بحسب حالات سقوط الثلج و مراحѧه.

ومن هنا يتمحور البعد المعرفي ةلنفسي بدءًا Ę ما يصطلح ĭليه بدلالة ثلآطر.

يقول فيلمر *إن النظرية الدلالية هي Tبل كل شئ نظ6ية للمداخل المعجمية، فهъ تسعى بوسائلها إلى حديد طبيعة المعلومات الموجودة في هذه المداثل وكيفية وجودها وسببه. وتعتلد دلال الأطر في تحديد هذه المداخل (ورصد معانيها)على أطر عامة تتجانس فيها مختلف النماذج المعرفية البشرية،هذه الأطر تخصص فهما موحدا ومؤمثلا (Idealized) لمجال من مجالات التجربة"*[4].

وتعديلا لما ذهب إليه نأخذ فعل سمع.

سمع المدخل المعجمي التقاط صوت بواسطة الأذن من دون قصد ونركز هنا على الالتقاط غير القصدي لأنه يميز هذا المدخل من مدخل آخر يعتمد على الالتقاط القصدي للأصوات "كأنصت" مثلا والمدخلان ينتميان كلاهما إلى حقل الإدراك السمعي.

ويعزز هذا الكلام ما تذهب إليه النظريات الدلالية عموما ونظرية الحقول الدلالية على وجه التحديد يقول أحمد مختار عمر: " الحقول الدلالية أو الحقل المعجمي هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتها وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها مثال ذلك؛ كلمات الألوان في اللغة العربية فهي تقع تحت المصطلح العام(اللون) وتضم ألفاظا متنوعة أحمر–أزرق–أخضر–أبيض....ومبادئها أن لا واحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معين، ولا أخرى عضو في أكثر من حقل، كما لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة، واستحالة دراسة المفردات المستقلة عن تركيبها النحوي[5]"

وإجمالا يمكن أن نقول بأن النظرية الدلالية تبنى وفق تصميم المداخل وعلاقتها داخل معجم اللغة، إذ تعتمد دلالة الأطر على العلاقات الدلالية التي تربط بين الألفاظ داخل حقول دلالية فهي إذًا تصف جانب معين من السلوك البشري يختلف عن جانب آخر يختص بحقل جديد، بل إنه مفهوم الحقل كفيل بضرورة ربط المداخل المعجمية القائمة على الفهم الموحد.

الدلالـة التأويليـة:

إن اللغة هي نسق من المفردات والقواعد التي يشترك فيها متكلّموا تلك اللغة، وهذه المفردات تشكل مداخلا معجمية، وقد يتبين المتكلم بوضوح بعض هذه القواعد عندما ينتج جملا صحيحة تحمل معنى لان هدف النحو التوليدي هو بناء نظرية قادرة على التمييز بين المتواليات الكلامية(الجمل) النحوية واللاحنة.

وسنقتصر في هذا المقال على نموذج فريد طالما دافع على كشف النسق الذي يحدد البنيات اللغوية النحوية.ألا وهو نموذج تشو مسكي

وضع تشو مسكي في كتابه *البنيات اللغوية*(structure syntaxique) نموذجا نحويا يفترض أن ملكة اللغة عند البشر مستمدة من النحو الذي يستنبطونه، الذي يسمح لهم بإنتاج الجمل الجيدة التي يكلمونها ويلغي غيرها، ولعل مشكل الانحراف الدلالي(La Déviance) المتعلق بالمفهوم النحوية ظل يواجه التصور التوليدي ولننظر إلى المتواليات الآتية:

(1) شيد البيت زيدًا

(2) شيد زيد البيت

(3) شيد من زيد

نلاحظ أن الجملة الأولى ليس عربية لأنها تخرق قاعدة انتقائية، إلا أن الجملة الثانية توافق القاعدة الانتقائية بين الفعل والفاعل والمفعول به كما نلاحظ أن الجملة الثالثة غير نحوية كذلك.

وفي هذا المجال أشار الزمخشري في كتابه *المفصل* يوافق كلام تشو مسكي إذ يقول:" *غير أننا إذا نظرنا في الجمل التي تتألف من مسند ومسند إليه وجدناها واضحة المعاني بينة الدلالة وذلك في مثل قام زيد، وزيد قام وضرب اللص فهناك عنصر الإسناد الذي يعد بمثابة الرابط المعنوي بين المسند والمسند إليه..."*[6]

أقترح تشو مسكي إقامة سلمية تضم عددا من المستويات المقولية ترتب المكونات على شكل طبقات.

المستوى الأول ط1،ط1، ط1 (طبقة الألفاظ)

المستوى الثاني $ط^2_1$ ، $ط^2_2$، $ط^2_3$ (فصل،اسم، اسم)

المستوى الثالث $ط^3_د$ ، $ط^3_ي$، $ط^3_ر$ (فصلد،اسم ي، اسمر)

ولدينا قاعدة نحوية مرتبطة بالسياق تشير إلى أن الفعل (د) وليكن الفعل (أحب) لا يظهر إلا مع فاعل حي، ولهذا لن يولد النحو المتوالية الآتية(– يحب الفقر اللعب)

فهذه الجملة على شكل(فعل+ اسم+اسم) ولكن النحو لن يولد إلا مجالا من نوع (يحب زيد اللعب) التي تحترم المستوى الأول والمستوى الثاني والمستوى الثالث أما(يحب الفقر اللعب) فتحترم على المستوى الأول والثاني فقط ولا تستجيب للمستوى الثالث.

ومن هنا يتضح أن المستويين الثاني والثالث هما اللذان يسمحان بمعرفة سبب لحن جملة معينة ودرجة لحنها والمستوى الثاني مقولي أما المستوى الثالث انتقائي والمستوى الأول لا يتيح التمييز بين المتوالية النحوية والمتوالية غير نحوية.

يذهب كاتز إلى أن *:" هناك بعض الجمل المنحرفة قليلا قد تكون جمل غير مفهومة عند المتكلمين في حين أن جملا أخرى تنحرف بدرجة أكبر تكون مفهومة"*[7] مثل:

1– أكلت الحرية ورقًا

2– خدوم زيد يقوم إلى عمل

يمثل الجملة (1)على المستوى الثاني وهذه الجملة تخرق قيدا انتقائيا بين الفعل وفاعله الذي يجب أن يكون (حيا) وبين الفعل ومفعوله الذي ينبغي أن يكون قابلا للأكل فالخرق تم في المستوى الثالث على عكس الجملة الأولى يمثل للجملة الثانية على المستوى الأول فقط، وهو مستوى الألفاظ والخرق في هذه الجملة يتم في المستوى الثاني، ورغم أنه النحو سيلغي الجملة الأولى في المستوى الثالث والجملة الثانية في المستوى الثاني فإن الجملة الثانية مفهومة أما الأولى فلا ومن هنا يمكن أن نشير أن الدرجات النحوية عند تشو مسكي لا تعكس قدرة المتكلم لأن عملية إنتاج الجمل عند المتكلم تختلف عن فهمه إياها وإعطائها تأويلا مناسبا.

خاتمة

شغلت قضية المعنى اهتماما كثير من الفلاسفة واللغويين والمفكرين وراحت تدور حول ثلاث مكونات هي:اللغة والمتكلم والعالم الخارجي، وقد كانت النظرية التوليدية –بوصفها مقاربة نفسية– أداة فاعلة في تحديد المعنى كما كانت النظرية التأويلية بمثابة الجسر بين بنيات تركيبية والتأويلات الدلالية، وكان للساني نوعم تشو مسكي الدور الأمثل من خلال نماذج كثيرة– لم يتسع المقام لحصرها– في إرساء قواعد النحوية من أجل تمييز المتواليات النحوية عن سواها اللاحنة.

الإحـالات

[1] HIRSCH Eric Donald, *Validity In Interpretation* (VAL) Newhaven: Yale University Press.1967 p23

[2] تشو مسكي ن ، اللغة و مشكلات المعرفة، ترجمة حمزة المزيني، دار توبقال للنشر، 1990، ص 63

[3]MARTINET (A.) 1974. *Éléments de linguistique générale*. Paris: A. Colin (rééd.), [1ère éd. 1960].

[4] FILLMORE,C. *frames and the semantics of understanding*. Ms Umiversety of California. Brekel,1984. p.106

[5] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، كلية دار العلوم جامعة القاهرة، دار عالم الكتب، ط5 سنة ،1988 ص11.

[6] الزمخشري، المفصل في علم العربية، دار الجيل، بيروت ، دط – دت، ص 24.

[7]katz.J.I-Semi-Sentences In Fodor De Katz (Eds): *The Structure Of Language: Reading The Philosophy Of Language*, Englewood Eliffs N.J. Prentice- Hall –Inc-1964, p69.